



(1)

وسط الدمار والفوضى، وعلى أنقاض سوريا المنكهة بفعل الآلة الحربية الروسية وجيوش المرتزقة الذين صدرت لهم إيران من دول الولي الفقيه، والقنابل الموقعة والأوبيئة المتمثلة بالمقاتلين الأجانب الذين دفعت بهم أجهزة مخابرات عديدة للتخلص من عبء وجودهم في ضواحي أوروبا لتصدرهم إلى سوريا، حيث انتهك حقوق الإنسان وارتكاب الجرائم يمكن تبريره وتغافله، طالما كان تحت عنوان محاربة "الإرهاب"، وعلى وقع النقض (الفيتتو) الروسي التاسع في مجلس الأمن الدولي، هذه المرة ضد استمرار آلية التحقيق في جرائم استعمال النظام السلاح الكيميائي ضد أبناء الشعب السوري، ما يمثل أقدر أشكال الاصطفاف إلى جانب منظومة الإجرام في دمشق، وفي اغتصاب فاضح لكل قيم حقوق الإنسان...، على وقع ذلك كله، دعت الحكومة الروسية إلى مؤتمر "الشعوب السورية"، بعد أن تمكّنت من لي ذراع الثورة العسكرية ومحاصرته، عبر اتفاق تخفيض التصعيد، مستفيدة من الوضع الدولي، وتراجع دولٍ كثيرة عن موقفها الداعم للثورة السورية، وتحولات في سياسة دول كانت تتبنّى، بشكل مطلق، دعم التغيير الديمقراطي في سوريا، إضافة إلى الأزمة الخليجية التي بات الشعب السوري من أكثر الشعوب العربية تضرّاً من الاستقطاب الناجم عنها.

(2)

استفادت روسيا من التراجع الأميركي في المنطقة منذ عام 2013، والذي ساهم بدفع دول داعمة الثورة السورية إلى السعي إلى التفاهم مع روسيا، باعتبارها المؤثر الأكبر (والوحيد في نظر بعضهم) في حل المعضلة السورية، بعد أن كانت هذه الدول

أعلنت استعدادها للاستمرار في دعم الثوار في مواجهتهم المفتوحة مع الاحتلالين، الإيراني والروسي، وهو ما يشكل، في نظر الروس، انتصاراً استراتيجياً مقابل النفوذ الأميركي المتراجع في المنطقة.

على الرغم من أن الروس يعلمون تماماً أنه لم تكن أي دولة قد حسمت موقفها جدياً بإيقاف التغول والإجرام الروسي في سورية، لكنها شكلت فرصة للتظاهر، كما لو أنهم ينتصرون على العالم كله في سورية، وهو ما يتماهى، بشكل مطلق، مع كاريزما الرئيس الروسي، فلاديمير بوتين، وخطابه، الأمر الذي أسس للاعتقاد الروسي بالنجاح في ترسیخ تقسيم سورية لمناطق نفوذ، الجزء الأكبر منها خاضع لإرادة الروسية بشكل مطلق، أو أنها دخلت في تفاهماتٍ مع روسيا "تحت طائلة الحرق والتدمير" بعد محادثات أستانة، كما هو حال المناطق المحررة الخاضعة لسيطرة الثوار، أو كما هو حال الرقة ودير الزور، بعد التفاهم الأميركي الروسي، والذي تمثل في إبعاد الجيش السوري الحر من البادية، وسيطرة النظام على أجزاء واسعة من دير الزور، والتصريح الإيراني باقتراب عملية مشتركة لجيش النظام وحلفائه على الرقة.

ويبدو جلياً أن روسيا ليست مستعدةً، أو جاهزة للتخلّي عن بشار الأسد، على الأقل في المرحلة الراهنة، باعتباره أبرز مظاهر نفوذها وانتصارها. كيف لا وهي تستطيع الإتيان به إلى موسكو بأحد طائرات الشحن الروسية التي تنقل بواسطتها الطعام والمواد إلى مقاتليها في حميميم، وهو ضمانة لتعزيز نفوذها، وتثبيت موقعها مقرراً لشكل الحل في سورية. ومن أجل شرعنة النفوذ والوصاية الروسية، تسعى موسكو إلى الانقلاب على مسار جنيف، وصياغة الإطار الملزم للحل الذي ربما ينجم عن مسار جنيف، بعد أن باتت دول كثيرة مؤثرة تسلّم للرؤية الروسية للحل في سورية.

(3)

مؤتمر "الشعوب السورية" الذي كان مقرراً في قاعدة الاحتلال الروسي العسكرية حميميم، تم تقرر عقده في سوتشي الروسية، منعاً لإخراج الراغبين بالمشاركة، مثل معارضته المصافة، أو من تم احتواء إرادتهم من قادة الفصائل، وأصبحوا بشكل مطلق مقيدين برغبات الجهات الداعمة. وقد صرّح مسؤول روسي في الجلسة الأولى من المفاوضات بين وفد الفصائل العسكرية الأول مع وفد الكرملين الروسي، عن رؤية بلاده لهذا المؤتمر، وهي تتمحور حول دعوة وجاء المجتمع السوري من مختلف الطوائف وأبناء العائلات السورية العريقة وممثلي الطوائف والأعراف والقوميات المختلفة التي يتكون منها الشعب السوري، وأيضاً ممثلين عن النظام والمعارضة. ويكون الهدف الرئيس للمؤتمر هو النظر في شكل النظام السياسي لسوريا، وانتخاب لجنة تأسيسية تصوغ دستوراً انتقالياً تتم بالاستناد إليه عملية انتخاب تحت إشراف دولي، حيث تتعهد روسيا والدول المشرفة على هذه الانتخابات بتطبيق نتائج الانتخابات، والتزام الجميع بها، ولن تمانع حينها روسيا، بحسب المسؤول الروسي، في رحيل الأسد بهذه الطريقة. وتحقق هذه الرؤية لروسيا مزيداً من تفتت المعارضة السورية، كما أن بحث المؤتمر شكل النظام السياسي في سوريا سيشكل الضربة القاضية للهيئة العليا للمفاوضات، لما يؤسس له بحث هذا المحور من استقطاب حاد، مستفيدة موسكو من ترخيص بعض الدول، وحتى تيارات منسوبة للمعارضة، بالهيئة العليا، كما سيحقق لموسكو ما سعت إليه في جنيف وأستانة، والذي يتمثل في تقديم بحث مسألة الدستور على الانتقال السياسي.

كما أن تقديم مسألة الدستور على الانتقال السياسي، والانخراط في بحث الدستور، سيحقق تجاوزاً كلياً لفكرة الانتقال السياسي باعتباره أهم خطوات الحل في سورية، لما سينتج عن بحث مسألة الدستور قبل تحقيق العدالة من صراعاتٍ قومية

وطائفية وبدعم روسي إيراني، ليظهر الأسد في موقع الحل الأمثل لتجاوز صراع الطوائف والقوميات وحله. بعد المؤتمر، وفق رؤية موسكو، الجزء الأهم من الاستراتيجية الروسية لتفتيت القرارات الدولية الناظمة للحل السياسي للقضية السورية، وفي مقدمتها بيان جنيف وقرار مجلس الأمن 2245، والتأسيس لعقبات إضافية أمام تحقيق مسار جنيف أي تقدّم، وحصر تحقيقه نتائج ملموسة بالرغبة الروسية.

تمر عملية التفتیت الروسية للقرارات الدولية عبر انفراد روسيا بتحديد زمان (ومكان) بحث أكثر البنود التي تهدد بقاء الأسد في السلطة، والواردة في تلك القرارات، بشكل يمهد لتجاوز إنفاذ تلك البنود، وفق السياق القانوني والتراتبية المنصوص عليها، وهذا يتجلّى في الفقرة 9 البند أ من بيان جنيف، وهو ينص على تشكيل هيئة حكم انتقالي، وينص في الفقرة ب على عقد مؤتمر الحوار الوطني الذي ستكون نتائجه ملزمةً لإعادة النظر بشكل النظام الدستوري في سوريا، حسب الفقرة ج من المادة نفسها.

اختارت روسيا التي تستبق بحث الجولة المقبلة من مفاوضات جنيف الدستور والانتخابات، وطرح مبعوث الأمم المتحدة، ستيفان دي ميستورا، رؤيته عن الحوار الوطني، توقيت المؤتمر بعناية، بحيث تنسجم الرؤية الروسية لمؤتمرا "الشعوب السورية" مع المناخ الذي يحيط بالجولة القادمة من مفاوضات جنيف، بحسب حديث دي ميستورا أن الجولة الثامنة من جنيف ستكون لبحث الدستور والانتخابات. وتنسجم هذه الرؤية مع مناخ التحولات في سياسة عدد من الدول المتراجعة عن دعم كفاح السوريين لescاط نظام الاستبداد في دمشق، ولم يعد يشكل فرقاً كبيراً لدى هذه الدول أن يبحث الدستور والانتخابات في سوتشي أم في جنيف أو حتى في موسكو نفسها.

الأهم بالنسبة لموسكو في قضية توقيت مؤتمر "الشعوب السورية"، هو مؤتمر الرياض 2، ومحاولة التأثير على مجرياته من خلال محاصرة من سيجتمع في الرياض بين ضرورة التسليم بالمظلة الروسية للحل في سوريا أو محاربة مخرجات المؤتمر، إذا لم يكن يلبي التطلعات الروسية، وذلك من خلال مشروع روسي في توحيد حاج موسكو من معارضي المصادفة الذين وافقوا على المشاركة في مؤتمر سوتشي، مع المنصات والشخصيات التي شاركت في "الرياض 2"، وفشلت في تمرير الإرادة والرغبات الروسية، ثم إبراز الجسم الجديد على أنه المنصة الأكثر تمثيلاً للمعارضة، وهو ما سيساهم في تعزيز فكرة المنصات، والإبقاء عليها مكسباً إضافياً، يبقى للروس إحدى أهم أوراقهم التي تعزز بروبااغندا تشتبث المعارضة وتعدد منصاتها.

#### (4)

بعد بيانات رفض المشاركة في المؤتمر، والتي أصدرتها هيئات ثورية وتيارات معارضة، والاعتراضات التركية على دعوة حزب الاتحاد الديمقراطي، والموقف الغربي المشكك بالمؤتمر، تم تأجيل انعقاد المؤتمر إلى أجل غير مسمى. لكن هل يعني هذا تخلي روسيا عن الفكرة؟ لم يسبق لروسيا أن تراجعت في سوريا، إلا حين تصدّى الجيش السوري الحر للهجوم البري المشترك بين المليشيات الإيرانية وقوات النظام تحت غطاء جوي روسي.

عدم استعداد موسكو للتراجع مرتبط بعدم رغبة أي من أفراد المجتمع الدولي ومؤسساته الوقوف جدياً، وبشكل حاسم، في وجه روسيا، أو دعم السوريين في وقوفهم في وجهها. لذلك فإن تأجيل انعقاد المؤتمر تكتيكي، لجأت إليه موسكو إلى حين توفيرها مناخاً أكثر ملاءمة لانعقاده، وهو ما يرجح عودة التصعيد العسكري للنظام بتغطية ودعم روسيين، في عدد من مناطق تخفيض التصعيد، في مقدمتها الغوطة الشرقية. ومن جهة ثانية، ستزيد موسكو من ضغوطها على الجانب التركي،

وستفتح الباب أمام النظام والإيرانيين لعرقلة الوجود العسكري التركي في إدلب.

ليست روسيا متمسكة بعقد المؤتمر في سوتشي أو حميميم، بقدر تمسكها بتمرير أجندـة مؤتمر الشعوب السورية وأغراضه وفق رؤية موسكو. وبالتالي، فإن ما تقوله موسكو: في جنيف أو أستانـة أو سوتشي أو حميميم المهم، أن تفعلوا ما أريده وخططـت له أنا، وهو ما يستلزم أن يكون رفض المعارضة للمؤتمر هو رفض مضمونه وأهدافـه، بغض النظر تحت أي عنوان، وأين سيعقد، ومن هي الدولة التي ستوجه الدعـوات للمشاركة في المؤتمر.

(5)

قبل أيام فقط، وفي مهد الثورة السورية العظيمة في درعا، تداعـت فعاليـات حوران، وبتمويل ذاتـي، إلى لقاء حوران الثوري، لتأسيس هيئة سياسـية ممثلـة لـحوران، وقبلـها اجتمـعت الـقيادات العسكرية في بـصرى الشـام في حوران، لـتأسيـس قـيادة عـسكـرـية مشـترـكة. وـتـؤـكـدـ هذه الـلـقاءـاتـ السـورـيـةـ الثـورـيـةـ قـدـرـتـناـ،ـ نـحنـ السـورـيـينـ،ـ عـلـىـ الـاـنـطـلـاقـ بـمـشـرـوـعـ وـطـنـيـ سـورـيـ مـسـتـقـلـ،ـ يـحـافـظـ عـلـىـ مـبـادـئـ الـثـورـةـ،ـ وـيـسـتـمـرـ فـيـ سـعـيـهـ إـلـىـ تـحـقـيقـهاـ عـلـىـ كـلـ الصـعدـ.

لا يمكن مواجهـةـ التـغـولـ الروـسـيـ المـاضـيـ فـيـ مـحاـوـلـةـ تـفـتـيـتـ المـوقـفـ الثـورـيـ وـقـرـارـاتـ الشـرـعـيـةـ الـدـولـيـةـ النـاظـمـةـ لـلـحلـ السـيـاسـيـ فـيـ سـورـيـةـ،ـ عـبـرـ الـاـكـتـفـاءـ بـمـوـاـقـفـ فـرـدـانـيـةـ،ـ وـتـنـديـدـاتـ عـلـىـ وـسـائـلـ التـواـصـلـ الـاجـتمـاعـيـ،ـ أـوـ حـتـىـ مـقـالـاتـ الرـأـيـ فـيـ الصـحـفـ الـمـنـتـشـرـةـ،ـ معـ ضـرـورـةـ هـذـهـ الـحـمـلـاتـ.ـ وـلـكـنـ إـلـىـ جـانـبـ مـبـادـراتـناـ الثـورـيـةـ وـالـوطـنـيـةـ.ـ لـذـلـكـ،ـ لـاـ بدـ مـنـ مـوـقـفـ جـمـاعـيـ حـاسـمـ وـوـاـضـحـ،ـ يـتـدـاعـىـ لـهـ حـمـلـةـ الـهـمـ الـوطـنـيـ الثـورـيـ منـ السـورـيـينـ الـذـيـنـ لـاـ يـجـامـلـونـ فـيـ بـلـدـهـ وـثـورـةـ شـعـبـهـمـ صـدـيقـاـ وـلـاـ عـدوـاـ،ـ وـلـاـ حـتـىـ أـعـظـمـ قـوـةـ عـسـكـرـيـةـ فـيـ هـذـاـ عـالـمـ الـقـزـمـ أـمـامـ تـضـحـيـاتـ الشـعـبـ السـورـيـ العـظـيمـ.

عـانتـ الـثـورـةـ السـورـيـةـ،ـ عـبـرـ سـنـوـاتـهـ الـمـرـيـرـةـ،ـ مـنـ غـيـابـ قـوـةـ سـيـاسـيـةـ سـورـيـةـ ثـورـيـةـ،ـ لـهـ هـدـفـ وـطـنـيـ وـاـضـحـ.ـ وـعـانـتـ مـنـ اـتسـاعـ هـامـشـ الـاجـتـهـادـ السـيـاسـيـ،ـ حـتـىـ بـاتـتـ الـخـيـانـةـ وـجـهـةـ نـظـرـ،ـ كـمـاـ عـانـتـ مـنـ تـحـولـ مـفـهـومـ الـمـعـارـضـةـ أـحـيـاناـ إـلـىـ آـرـاءـ شـخـصـيـةـ لـأـفـرـادـ حـرـيـصـيـنـ فـقـطـ عـلـىـ مـصـالـحـهـمـ الـمـتـقـاطـعـةـ مـعـ بـعـضـ الـجـهـاتـ الـدـولـيـةـ.

هـذـهـ الـثـورـةـ الـمـنـهـكـةـ مـنـ حـربـ تـجـرـدـ فـيـهـاـ أـعـدـاءـ الـحـرـيةـ وـأـنـصـارـ الـإـسـتـبـادـ مـنـ الـحـدـ الـأـدـنـىـ مـنـ أـخـلـاقـ الـإـنـسـانـ.ـ وـمـارـسـوـاـ أـبـشـعـ صـورـ التـنـكـيلـ ضـدـ شـعـبـ لـمـ يـسـبـقـ لـأـحـدـ فـيـ عـصـرـنـاـ الـحـدـيـثـ أـنـ قـدـمـ مـثـلـهـ تـضـحـيـاتـ عـلـىـ مـذـبـحـ الـحـرـيةـ وـالـكـرـامـةـ،ـ لـمـ يـبـقـ لـهـ مـنـ خـيـارـاتـ سـوـىـ أـنـ تـخـوضـ مـنـ جـدـيدـ مـعرـكـةـ استـقـالـلـ سـورـيـةـ،ـ وـتـحرـيرـهـاـ مـنـ الـاحـتـلـالـ الدـاخـلـيـ وـالـاحـتـلـالـاتـ الـأـجـنبـيـةـ.ـ وـهـوـ مـاـ يـسـتـدـعـيـ مـوجـةـ جـدـيـدةـ مـنـ الـكـفـاحـ وـالـمـقاـومـةـ الـوطـنـيـةـ الـتـيـ مـهـماـ بـلـغـتـ تـكـالـيفـهـاـ لـنـ تـكـونـ أـكـثـرـ إـيـلـامـاـ مـنـ خـسـارـةـ سـورـيـةـ وـشـعـبـهـاـ وـمـسـتـقـلـهـاـ،ـ وـتـفـتـيـتـهـاـ تـبـعـاـ لـرـغـبـاتـ الـإـسـتـبـادـ وـالـاحـتـلـالـ وـقـادـةـ مـذـبـحـةـ الـعـصـرـ.

المصادر:

العربي الجديد